

التضمين عند أبي السعود في تفسيره  
"إرشاد العقل السليم"

أ.د. عودة عبد الله

(جامعة النجاح الوطنية- فلسطين)

يوسف محمد زقوت

(وزارة التربية والتعليم- فلسطين)

## ملخص

وقفت هذه الدراسة على معنى التضمين وعلاقته بتناوب الحروف وفوائده، وموقف أبي السعود من التضمين في تفسيره (إرشاد العقل السليم)، وبيان أنواع التضمين التي استخدمها، وصولاً إلى استخلاص ملامح منهجه البلاغي في عرض موضوع التضمين.

وقد تبين من خلال هذا البحث أن أبا السعود تحدث في تفسيره عن التضمين بسبب التعدية، والتضمين في الأسماء والمصادر، وتضمين الفعل معنى القسم، معززاً ذلك بأمثلة كثيرة. كما أنه يذكر التضمين صراحة في بعض المواطن، وتلميحاً في مواطن أخرى، وتارة يعرض عنه ولا يذكره. ويبين فائدة التضمين من خلال بيان الفعل المضمّن، مستدلاً على ذلك بشواهد من القرآن الكريم والقراءات القرآنية والشعر وكلام العرب.

كلمات مفتاحية: التضمين، أبو السعود، البلاغة، التفسير

## Abstract

This study focuses on the meaning of connotation, its relationship to alternation of letters, its benefits, and Abu Al-Saud's position on connotation in his interpretation of "Guidance of a Sound Mind" and what types of connotations he uses in his interpretation. Some of what he uses in his interpretation were connoted because of transitivity, and connotation in nouns and infinitives, connoting the meaning of oath in the verb. This was detailed with examples from his interpretation. The features of his approach to connotation were extracted from this interpretation, as he was sometimes stating connotation clearly and in other times alluding to it, or he doesn't mention it at all, or he mentions the benefit of the connotation in the verb, or makes the meaning of the connoted verb ambiguous or he mentions several possible meanings of it, and he sometimes uses evidence from the Holy Qur'an, its readings, poetry, and the word-of-mouth of the Arabs on connotation.

Keywords: Connotation, Abu Al-Saud, rhetoric, interpretation

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه  
ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، وقد استعمل أساليب العرب بطريقة أبهرت عقولهم، لما فيه من قوة  
الأسلوب، وعظيم التناسق، وحسن البلاغة، ورسانة النظم، مما جعلهم عاجزين عن الإتيان بمثله.  
ومن الموضوعات البلاغية المهمة التي يتوقف عليها فهم معاني القرآن ودلالات ألفاظه،  
موضوع التضمين، والذي يُعدّ مظهرًا من مظاهر الإعجاز القرآني، وسرًّا من أسرار جماليات اللغة  
العربية.

وفي هذا البحث سيقف الباحثان على معنى التضمين وأغراضه وفوائده. وسيتم النظر في  
تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم) بصورة فاحصة ومتأنية، من خلال تفسيره للآيات التي ورد  
فيها التضمين، بهدف استنتاج طريقته في معالجة هذا الموضوع، وبيان موقفه من قضية التضمين،  
وكيفية توظيفه للتضمين في الكشف عن معاني ودلالات ألفاظ القرآن الكريم.

### مشكلة البحث:

1) ما أنواع التضمين التي استخدمها أبو السعود في تفسيره؟

2) ما موقف أبي السعود من التضمين من خلال تفسيره؟

### أهداف البحث:

1) التعرف على معنى التضمين، وفوائده وأغراضه، وعلاقته بتناوب الحروف.

2) معرفة أنواع التضمين التي استعملها أبو السعود في تفسيره.

3) الوقوف على منهج أبي السعود في تناوله لموضوع التضمين في تفسيره.

### الدراسات السابقة:

1) رسالة دكتوراه بعنوان "التضمين النحوي في القرآن الكريم" للدكتور محمد نديم فاضل. جامعة  
الخرطوم.

2) رسالة ماجستير بعنوان "أبو السعود، ومنهجه في النحو من خلال تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (الأجزاء العشر الأول من القرآن أنموذجاً) لعماد أحمد سليمان زين، الجامعة الأردنية.

3) بحث بعنوان: "التضمين النحوي، وتوجيهاته في القرآن الكريم" د. مازن عبد الرسول سلمان.

4) بحث بعنوان: "التضمين والاستعمال البياني في القرآن الكريم" ومؤلفه: ستار فليح حسن العبيدي.

وما يميز هذه الدراسة، أنها تتحدث عن منهج أبي السعود في التضمين، وذلك من خلال تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" فحدود البحث هذا التفسير، وموضوعه محدد في التضمين فقط.

#### حدود البحث:

اشتمل هذا البحث على تفسير أبي السعود للآيات القرآنية التي احتوت على معنى التضمين، ونص أبو السعود فيها على الفعل المضمّن. وهي دراسة استقرائية اشتملت على جميع الأمثلة الموجودة في تفسير أبي السعود.

#### منهج البحث:

اعتمد الباحثان على المنهج الاستقرائي أولاً، وذلك بتحديد مواطن التضمين في تفسير أبي السعود، ثم المنهج التحليلي، وذلك بدراسة هذه المواضع وتحليلها لمعرفة أنواع التضمين، واستنباط الفوائد العامة منها، بهدف إبراز منهج أبي السعود في المعالجة البلاغية لقضية التضمين.

#### خطة البحث:

حوت الخطة تمهيداً ذكر فيه الباحثان تعريفاً موجزاً بأبي السعود وتفسيره، إضافة لثلاثة

مباحث، هي:

المبحث الأول: التضمين وأهميته في علم التفسير

المبحث الثاني: أنواع التضمين عند أبي السعود

المبحث الثالث: ملامح منهج أبي السعود في التضمين

ثم أنهى الباحثان بحثهما بخاتمة ذكرا فيها أهم النتائج التي توصلوا إليها. فإن كان من توفيق وسداد فمن الله المنعم، وإن كان من خطأ فمن النفس ومن الشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## التمهيد

### التعريف بأبي السعود وتفسيره

#### أولاً: التعريف بأبي السعود

أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، المولود سنة 893هـ، بقريّة قريبة من القسطنطينية، وقد نشأ في بيت اشتهر بالعلم والفضل، وقرأ كثيراً من كتب العلم على والده، وتلمذ على يد كثير من علماء عصره، حتى شُهر صيته، وفاضت أخباره، حتى تولى التدريس في كثير من المدارس التركية، ثم تولى أمر القضاء، والإفتاء في كثير من المدن التركية، واستمر في عمله نحو ثلاثين سنة. وقيل عنه: إنه كان يجيب السائل حسب لغته بالعربية، أو التركية، ونظمه حسب الوزن والقافية، ورغم أنه تركي إلا أنه متقن لفنون اللغة العربية وضروبها، وهو مما ميزه، واشتهر به وغلب على تفسيره. ورغم انشغاله بالإفتاء والقضاء هذه السنوات الطوال إلا أنه كان يختلس الوقت للتأليف والإبداع، فكان من مصنّفاته: بضاعة القاضي في الصكوك، وثواقب الأنظار في أوائل منار، والأنوار في الأصول، وحسم الخلاف في المسح على الخفاف. وغطات العوام، وغمرات المليح في أول مباحث قصد العام من التلويح، والفنّاوي، وقانون المعاملات وغيرها. وتوفي بمدينة القسطنطينية سنة 982هـ ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه (1).

#### ثانياً: التعريف بتفسيره

هو "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" يعد من أهم مصنّفاته الذي كان في غاية حسن الصوغ، وجمال التعبير، كشف فيه عن أسرار البلاغة القرآنية وسر إعجازه، واعتمد فيه على تفسيري "الكشاف" للزمخشري، و"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي، إلا أنه لم يذكر الاعتزاليات

---

(1) انظر: ابن العماد العكري، عبد الحي بن أحمد الحنبلي(ت:1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، (ط1) 1406 هـ - 1986 م، (10/184-186). البغدادي، إسماعيل بن محمد الباباني (ات: 1399هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف الجليلية، استانبول، 1951. (2/253). وانظر: الذهبي، محمد السيد حسين(ت:1398هـ): التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة. (2/245-250).

في الكشف، ولم ينقلها إلا للتحذير منها. واهتم أبو السعود في تفسيره بإبداء وجوه المناسبات بين الآيات، وكان ملماً بالقراءات يعرضها أحياناً، ولكن دون توسع، وكان يقلل من رواية الإسرائيليات، ويتناول ما تحتمله الآيات من وجوه الإعراب والبيان، ولا يكثر من ذكر المسائل الفقهية، وربما اكتفى بسرد ما في المذاهب، ولا يزيد على ذلك، بل ينزل الآية على قول الحنفية، لأنه حنفي المذهب، وقد يروي عن بعض من اشتهر بالكذب، ولكنه يحترز بعبارات الشك في صدقها وصحتها، ويتخذ أبو السعود من النحو وباقي علوم العربية آلة لفهم المعنى، وتجليه الدلالات القرآنية، لكن عباراته يصعب أحياناً فهمها، فتحتاج إلى تأمل ونظر<sup>(2)</sup>. ولهذا حظي التفسير بمكانة عظيمة بين كتب التفسير، ونال شهرة واسعة لدى العلماء وطلبة العلم، نظراً لدقة مباحثه، وجزارة علمه، وبعده عن الإطالة والإطناب في القضايا الجانبية.

وقد مدحه كثير من العلماء فقال عنه الشوكاني: "وهو من أجل التفاسير، وأحسنها وأكثرها تحقيقاً وتدقيقاً"<sup>(3)</sup>، وقال اللكنوي عنه: "وهو تفسير حسن ليس الطويل الممل، ولا بالقصير المخل متضمن لطائف ونكات ومشتمل على فوائد وإشارات"<sup>(4)</sup>.

## المبحث الأول

### التضمن وأهميته في علم التفسير

#### المطلب الأول: معنى التضمن

ذكر أصحاب المعاجم اللغوية معاني متنوعة للتضمن، منها: الكفالة، فضمن الشيء؛ أي كفله، والكفالة تسمى ضامناً، وتأتي أيضاً بمعنى الإيداع، كما تودع الوعاء المتاع، فهو جعل الشيء في شيء يحتويه، وتأتي أيضاً بمعنى تضمنه، ومنه قولهم: مضمون الكتاب كذا وكذا أي اشتمل عليه وكان في ضمنه<sup>(5)</sup>.

(2) انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون. (1/ 246-250).

(3) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني (ت: 1250هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الناشر: دار المعرفة - بيروت. (1/ 261).

(4) اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبد الحي الهندي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، الناشر: طبع بمطبعة دار السعادة، (ط1) 1324 هـ. (ص 82).

(5) انظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: 394هـ): تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عطار. دار العلم للملايين - بيروت. (ط4). 1407 هـ. (6/ 2155). ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني (ت: 395هـ): مقاييس اللغة.

وقال الزمخشري: "ضمن المال منه أي: كفل له به، وهو ضمينه ... وهو في ضمنه وضمانه ... ومن المجاز ضمن الوعاء الشيء وتضمنه، يُقال ضمن القبر الميت، وضمن كتابه وكلامه معنى حسناً، وهذا في ضمن كتابه وفي مضمونه"<sup>(6)</sup>.

أما في اصطلاح النحاة: فقد ذكر ابن جني في باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض: "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، فكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيدانا بأن هذا الفعل في معنى الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه"<sup>(7)</sup>، وقد ذكر أيضاً أن هذا التضمين هو ظاهرة واسعة في اللغة، فلا يكاد الإحاطة بها ولو جُمعت لجاهاً كتاباً ضخماً<sup>(8)</sup>.

وقد عرف ابن هشام والأشموني التضمين بأنه إشراب لفظ معنى لفظ آخر، فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضميناً، وفائدته أن تؤدي الكلمة مؤدى كلمتين<sup>(9)</sup>.

وعرفه الكفوي: "هو إشراب معنى فعل لفعل ليعامل معاملته وبعبارة أخرى: هو أن يحمل اللفظ معنى غير الذي يستحقه بغير آلة ظاهرة"<sup>(10)</sup>.

ومن المتأخرين عرفه عباس حسن: "أن يؤدي فعل - أو ما في معناه - مؤدى فعل آخر - أو ما في معناه - فيعطى حكمه في التعديّة واللزوم"<sup>(11)</sup>.

أما بالنسبة للعلماء الذين اشتغلوا في علوم القرآن وتفسيره، فقد عرفه الزركشي بقوله: "هو إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء، وفي الأفعال وفي الحروف، فأما في الأسماء:

---

تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر. 1979م. (3/ 372). ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي (ت: 711هـ): لسان العرب. (3ط) 1414هـ. (13/ 257).

(6) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (1ط) 1419 هـ - 1998 م، (1/ 587).

(7) ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت: 392هـ): الخصائص. الهيئة المصرية العامة. (4ط). (2/ 310).

(8) السابق. (2/ 312).

(9) انظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف (ت: 761هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق: مازن المبارك. دار الفكر - دمشق. (6ط) 1985م. (ص: 897). وانظر: الأشموني، علي بن محمد بن عيسى (ت: 900هـ): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، (1ط) 1419 هـ - 1998 م. (1/ 446).

(10) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. (ص: 266).

(11) حسن، عباس: النحو الوافي. دار المعارف. (15ط). (2/ 170).

أن تضمن اسماً لإفادة معنى الاسمين جميعاً... وأما الأفعال، فإن تضمن فعلاً معنى فعل آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً، وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعدياً بحرف آخر، ليس من عادته التعدي به، فيحتاج، إما إلى تأويله، أو تأويل الفعل؛ ليصح تعديته به<sup>(12)</sup>، وذكر أمثلة على ذلك.

والزمخشري لم يتطرق في كشفه؛ لتعريف التضمين تعريفاً صريحاً، وإنما ذكر ما يمكن أن نأخذ منه تعريفاً للتضمين، فقال: "الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ"<sup>(13)</sup>.

ومن علماء التفسير المعاصرين الذي له باع طويل في إتقان اللغة وعلومها هو ابن عاشور، فقد عرفه بقوله: "والتَّضْمِينُ أَنْ يُضْمَنَ الْفِعْلُ أَوْ الْوَصْفُ مَعْنَى فِعْلٍ أَوْ وَصْفٍ آخَرَ وَيُشَارُ إِلَى الْمَعْنَى الْمُضْمَنِ بِذِكْرِ مَا هُوَ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِهِ مِنْ حَرْفٍ، أَوْ مَعْمُولٍ فَيَحْصُلُ فِي الْجُمْلَةِ مَعْنَيَانِ"<sup>(14)</sup>.

أما أبو السعود فلم يعرف التضمين تعريفاً صريحاً في تفسيره، لكنه أشار إلى المعنى العام له، وذلك بإشراب الفعل معنى فعل آخر وأكثر من الشواهد في الآيات القرآنية الدالة على ذلك كما سيمر معنا في المبحث الثاني. ومما سبق يتضح لنا أن التضمين هو أن يعامل فعل معاملة فعل آخر في التعدي واللزوم ليبدل على معناه.

### المطلب الثاني: علاقة التضمين بتناوب الحروف

ذكر ابن الأنباري اختلاف العلماء في مسألة تناوب الحروف، أو عدمها؛ فالبصريون يمتنعون نيابة الحروف بعضها عن بعض، في حين يقول الكوفيون بنيابة الحروف؛ فهم يرون أن حرف الجر يأتي على أكثر من معنى؛ وذكر عدة أمثلة على ذلك من كتاب الله، فمنها قوله تعالى:

(12) الزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر (ت:794هـ): البرهان في علوم القرآن. (ط1) 1957م. (3/338).

(13) الزمخشري، محمود بن عمرو جار الله: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الكتاب العربي - بيروت. (ط3) 1407هـ. (2/717). وقد درج عند كثير من الكاتبيين نقل تعريف للتضمين يعزونه للزمخشري، هو: "يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله، مع إرادة معنى المتضمن قال: والغرض في التضمين إعطاء مجموع المعنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ" وقد رجعت لما تيسر لي من كتب الزمخشري في التفسير واللغة والحديث وغيرها فلم أقف على هذا التعريف، إلا أنني وجدتهم ينقلونه عن صاحب كتاب التضمين النحوي، وقد وجدت أنه عزاه للزمخشري دون إشارة لمرجه، والملاحظ أنه تصرف في تعريف الزمخشري، أو أدخل إلى كلامه ما ليس منه. انظر حسن عباس: النحو الوافي. (2/579). وانظر: وفاضل، محمد نديم: التضمين النحوي في القرآن الكريم. (1/90).

(14) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت:1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: دار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ. (1/123).

{قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} [آل عمران: 52] أي مع الله، وقوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} [النساء: 2] أي مع أموالكم<sup>(15)</sup>.

ولهذا ذهب البصريون للتضمنين؛ لأن حرف الجر مقصور على تأدية معنى واحد يختص به ولا يؤدي غيره إلا عن طريق المجاز، أو عن طريق التضمنين في العامل الذي يتعلق به الجار الأصلي مع مجروره<sup>(16)</sup>.

وممن أخذ برأي الكوفيين في تناوب حروف الجر الخليل بن أحمد في كتابه (العين)، فقال في معنى قوله تعالى: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ} أي على جُدُوعِ النَّخْلِ<sup>(17)</sup>. وابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن)<sup>(18)</sup>، وقد وضع باباً فيه عن تناوب الحروف بعضها عن بعض، وطبق ذلك على كثير من آيات القرآن الكريم. وكذلك أبو القاسم الزجاجي ذكر في آخر كتابه عن تناوب الحروف وبيان معانيها<sup>(19)</sup>.

ومن العلماء الذين أبطلوا القول بتناوب الحروف أبو هلال العسكري، فقال: "قال المحققون من أهل اللغة إن حروف الجر لا تتعاقب، حتى قال ابن درستويه، في جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة وإفساد الحكمة فيها، والقول بخلاف العقل والقياس، قال أبو هلال رحمه الله: إنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها، ووقع كل واحد منهما في معنى الآخر"<sup>(20)</sup>.

ومن العلماء الذين تحدثوا عن التضمنين صراحة ابن جني فقال عن: "اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدى به لأنه في معنى فعل يتعدى به"<sup>(21)</sup>. أما سيبويه فلم يصرح بالتضمنين في كتابه

---

<sup>(15)</sup> انظر: ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد أبو البركات (ت: 577هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف. المكتبة العصرية.

(ط1) 1424م. (216/1) مسألة رقم: (35، 67، 88)

<sup>(16)</sup> انظر: حسن، عباس. النحو الوافي. (2/ 538)

<sup>(17)</sup> الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن بن عمرو الفراهيدي (ت: 170هـ): كتاب العين، (مادة فتر)، المحقق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال. (8/ 221).

<sup>(18)</sup> انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ): تأويل مشكل القرآن، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ص 298-302).

<sup>(19)</sup> انظر: الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي (ت: 337هـ): حروف المعاني والصفات. ت: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة\_ بيروت (ط1) 1984م. (ص 74-87).

<sup>(20)</sup> العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت: 395هـ): الفروق اللغوية. ت: محمد سليم، دار العلم والثقافة - القاهرة. (24/1).

<sup>(21)</sup> ابن جني: الخصائص. (437/2).

وإنما أشار إلى معناه من باب الاتساع في الكلام، وكالمثل يجاب به، يقارب الشيء وليس مثله<sup>(22)</sup>. وهو يعدّ من أوائل العلماء الذين أشاروا إلى أسلوب التضمين.

وكذلك من أوائل من تعرض للتضمين، واعتبره وجهاً من وجوه البلاغة الرماني فقال: "تضمين الكلام هو حصول المعنى فيه من غير ذكر له باسم، أو صفة هي عبارة عنه، والتضمين على وجهين: أحدهما ما كان يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، والآخر ما يدل عليه دلالة القياس"<sup>(23)</sup>.

ومن هنا يظهر لنا الاختلاف بين القول في التضمين والقول بتناوب الحروف، فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب واستعمل أساليبها ونظمها وبلاغتها، والناظر في كتاب الله يجد بعض الأفعال التي تتعدى بحرف جر لا تتعدى به أصلاً، ومثال ذلك كثير في القرآن فمنها؛ قوله تعالى: **{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}** [المعارج: 1]، فالفعل سأل يتعدى بحرف الجر عن وليس بالباء؛ وهذا يحتاج لتأويل وكشف بيان ولا يُكشف إلا بأمرين:

1) القول بتناوب الحروف: أي أن الحرف الواحد يفيد أكثر من معنى حسب السياق ولهذا مثلاً نجد ابن هشام<sup>(24)</sup> قد ذكر لحرف الباء أربعة عشر معنى وعدّها منها المجاوزة أي بمعنى (عن) كما في الآية السابقة أي سأل عن عذاب واقع. وهذا لمن قال بتناوب الحروف ولم ينكرها.

2) القول بالتضمين: وذلك لمن أنكر تناوب الحروف واعتبر الحرف يأتي ليحقق معنى واحد، ولذا فإن أصحاب هذا الرأي<sup>(25)</sup> يذهبون إلى أن الفعل هو الذي يجب أن يضمّن معنى فعل آخر يليق بحرف الجر الذي تعدى به، وهو الفعل دعا فيصيح المعنى وكأنه قيل: دعا داع بعذاب واقع أي استدعى وطلبه.

والدارس لتفسير أبي السعود يجد أنه قد أكثر من القول بالتضمين في آيات كثيرة، وأحياناً يأخذ بتناوب الحروف. فهو يغلب عنده القول بالتضمين؛ لما يظهر له من كثرة الشواهد في تفسيره

---

(22) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت: 180هـ): الكتاب. المحقق: عبد السلام محمد هارون ناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط3) 1408 هـ - 1988 م. (226/4).

(23) الرماني: علي بن عيسى أبو الحسن المعتزلي (ت: 384هـ): النكت في إعجاز القرآن. المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، (ط3) 1976م. (102-103).

(24) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب. (137/1).

(25) انظر: الزمخشري: الكشاف. (4/608). وانظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (8/220). وانظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (154/29).

على الآيات القرآنية التي توجه استعمال هذه الحروف في غير أصلها والتي قد بلغت أكثر من أربعين موضعاً، وهو ما سنتعرف عليه في المبحث الثاني بإذن الله.

### المطلب الثالث: فوائد التضمين

للتضمين فوائد عدة، أهمها:

1- التوسع في المعنى، وهو من أهم الفوائد التي نجنيها من التضمين، فهو يسوق إلى معنى جديد غير المعنى الذي سيقى الكلمة له، بحيث تكون اللفظة تدل على معنيين. قال الزمخشري: "الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ"<sup>(26)</sup>، وأشار ابن هشام إلى هذا الغرض أيضاً<sup>(27)</sup>.

2- الإيجاز والاختصار في اللفظ، فالتضمين هو نوع من الإيجاز، والتعبير باللفظ الواحد الذي يدل على المعاني المختلفة هو نوع من الاختصار والإيجاز، وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له، وهذا ما ذكره الباقلاني بأن: "التضمين يأتي على وجهين: تضمين توجيه البنية، كقولنا: "معلوم" يوجب أنه لا بد من عالم، وتضمين يوجب معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به كالصفة بضارب على مضروب، والتضمين كله إيجاز، كما ضمن قول "بسم الله الرحمن الرحيم" معنى تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه سبحانه على جهة التعظيم له والتبرك به"<sup>(28)</sup>.

ولقد بين ابن القيم سر تضمين الفعل معنى الآخر بأنه: "دليل على الفعلين أحدهما بالتصريح به، والثاني بالتضمين والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه، مع غاية الاختصار... وأفاد أن هذا الذي يرتضيه خُذاق العربية ومحققوها"<sup>(29)</sup>.

3- الإرشاد إلى اكتشاف بعض أسرار اللغة ولطفها وحسن أساليبها مما يدفع للتحقق فيها: هذا الأسلوب يرشد إلى معنى خفي غير المعنى الظاهر من الفعل ولهذا يحتاج إلى إمعان نظر، وقريحة وقادة لاستنباط ذلك المعنى، فهو يضيف على الكلمة معنى جديداً تدل عليه قرينة أو السياق، قال ابن جني: "إذا مر بك شيء منه فنقبله، وأنس به، فإنه فصل من العربية لطيف

(26) الزمخشري: الكشاف. (2 / 717).

(27) ابن هشام: مغني اللبيب. (897).

(28) الباقلاني، محمد بن الطيب: إيجاز القرآن. تحقيق: أحمد صقر. دار المعارف- مصر. (ط5) 1997م. (ص: 273).

(29) ابن القيم: بدائع الفوائد. (2 / 21).

حسن يدعو إلى الأئس بها والفقاهة فيها"<sup>(30)</sup>. أي التفقه فيها حتى يصبح سادة الفقهاء، ولهذا يظهر لنا فنون اللغة وحسن صياغتها وتعدد المعاني في اللفظة الواحدة.

4- تفسير المعنى، وإزالة اللبس في تفسير الآية، مما يساعد على فهمها وعدم الوقوع في الخطأ، وقد ذكر ابن هشام مثلاً على ذلك، في قوله تعالى: **{فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ}** [البقرة: 259] قال: "فإن المتبادر انتصاب مئة بأماته، وذلك ممتنع مع بقاءه على معناه الوضعي لأن الإماتة سلب الحياة وهي لا تمتد، والصواب أن يُضمن أماته ألبته، فكأنه قيل: فألبته الله بالموت مئة عام، وحيث يتعلق به الظرف بما فيه من المعنى العارض له بالتضمين، أي معنى اللبس لا معنى الإلبات لأنه كالإماتة في عدم الامتداد، فلو صح ذلك لعلقناه بما فيه من معناه الوضعي ويصير هذا التعلق بمنزلته في قوله تعالى: **{قَالَ لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِئْسَ مِائَةَ عَامٍ}** [البقرة: 259]"<sup>(31)</sup> فالتضمين كان سبباً لإزالة اللبس في الآية وتوضيح المعنى بدقة، وهذا مما لا شك فيه من أغراض التضمين في اللغة، فلا يُلجأ له إلا لفائدة.

## المبحث الثاني

### أنواع التضمين<sup>(32)</sup> عند أبي السعود

بالنظر في مواطن التضمين في تفسير أبي السعود، يتبين أنه تحدث عن مجموعة من الأنواع، نبينها في المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: التضمين بالتعدية

الأفعال إما أن تكون لازمة فتكتفي بفاعلها، وإما أن تكون متعدية فتتعدى لمفعول واحد، أو تتعدى لمفعولين، أو ربما تتعدى بحرفٍ من حروف الجر. وهذه الأفعال قد تشترك في المعنى مع غيرها، لكن مع إضافة واختلاف بينهما، والتضمين من هذا الباب فهو أن يؤدي فعلٌ معنىً لفعلٍ آخر يشابهه ويتقارب معه في المعنى، فيأخذ الفعلُ المضمَّن حُكْمَ الفعلِ الآخر، من حيث اللزوم والتعدي وغير ذلك.

<sup>(30)</sup> ابن جني: الخصائص. (2/ 312).

<sup>(31)</sup> ابن هشام: مغني اللبيب. (ص: 687).

<sup>(32)</sup> رجعتُ في تفصيل أنواع التضمين بشكل عام إلى كتاب: (التضمين في القرآن بين التفسير والتأويل) للدكتور محمد الحسين مليطان، وكتاب: (رؤية جديدة لظاهرة التضمين في القرآن) أ. د. أنسام خليل. فأخذتُ من هذه الكتب أنواع التضمين، ثم قمتُ بتطبيقها على تفسير أبي السعود.

أي أننا نستطيع مثلاً أن نجعلَ فعلاً من الأفعال اللازمة يتضمَّن معنىً لفعلٍ متعدِّ يشبهه في المعنى، فينصب حينئذٍ الفعلُ اللازمُ مفعولاً به لأنه أخذ حُكم الفعل المتعدِّي الذي تضمَّن معناه، ونستطيع أن نفعل عكس ذلك أيضاً. إذاً، فالتضمين له أنواعٌ عدَّة، نذكر منها ونمثِّل لها بأمثلةٍ من تفسير أبي السعود؛ كي يتَّضح مرادنا من تحديد منهجه وموقفه من التضمين.

#### أولاً: تضمين الفعل المتعدِّي معنى فعل متعدٍّ آخر

يكون الفعلان متعديين، فالفعل الأول له المعنى الأصلي، والفعل المضمَّن الذي يفيد معنى آخر غير المعنى الأصلي، هو الفعل الثاني، ومثال ذلك في قوله تعالى: **{فَأَجْعَلِ أُنْدَةَ مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ}** [إبراهيم: 37]، فالفعل "تهوي" يأتي هنا بمعنى الحب، وهو فعل متعد يتعدَّى، بحرف الجرّ "بها"، لكنه عدِّي بحرف الجرّ "إلى" ليضمَّن الفعل "تهوي" معنى الشوق والنزوع<sup>(33)</sup>، أي اجعل هذه الأُنْدَةَ تُسرِّع شوقاً للبيت العتيق، وكأنها تُنتزع من مكانها مسرعةً لتُطفأ نار الشوق بجمال اللقاء، ومن هنا جاء التضمين ليضيف على الكلمة "تهوي" معنى آخر غير الحب وهو الشوق وشدته والإسراع لطلب اللقاء.

#### ثانياً: تضمين الفعل المتعدِّي لمفعول واحد معنى فعل متعدٍّ لمفعولين

وهو أن ينصب الفعل المتعدِّي لمفعول واحد مفعولين؛ لتضمينه معنى فعل آخر متعدٍّ لمفعولين، ومثال ذلك في تفسير أبي السعود في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا}** [آل عمران: 118]، يقول أبو السعود: **"{لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا}** جملةٌ مستأنفةٌ مبيِّنةٌ لحالهم داعيةٌ إلى الاجتناب عنهم أو صفةٌ بطانةً، يقال ألا في الأمر إذا قصر فيه، ثم استعمل مُعدَّى إلى المفعولين في قولهم لا آلوكم نُصْحاً، ولا آلوكم جُهداً، على تضمين معنى المنع والنقص، والخبالُ الفسادُ أي لا يُقَصِّرون لكم في الفساد<sup>(34)</sup>، فالأصل في الفعل "ألا" وهو بمعنى قصر أن يأتي متعدياً بمفعول واحد، لكنه جاء في الآية الكريمة متعدياً بمفعولين؛ وذلك من باب التوسع في معنى هذا الفعل ليضيف عليه معنى آخر وهو النقص والمنع وهذا من فوائد التضمين وأغراضه.

ومن أمثلة تضمين الفعل الذي يتعدَّى بمفعول واحد معنى فعل آخر يتعدَّى لمفعولين؛ كلمة "يُكْفَرُوهُ" في قوله تعالى: **{وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}** [آل عمران: 115]،

(33) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (5/ 52).

(34) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (2/ 76).

وتوضيح ذلك، أن الفعل "كَفَرَ" يتعدى في الأصل إلى مفعول واحد، فنقول مثلاً: كَفَرَ النعمة، لكنه في الآية الكريمة تعدى إلى مفعولين؛ الأول هو ما حلَّ محلَّه نائب الفاعل وهي الواو، والثاني هو الضمير (هاء) العائد على فعل الخير، وهذا على تضمين فعل الكفر معنى الحرمان. قال أبو السعود: "وتعديته إلى مفعولين بتضمين معنى الحرمان"<sup>(35)</sup>، فيصبح المعنى ما يفعلوا من خير فلن يحرموه، الذي يتعدى إلى مفعولين، أي فلن يُحرَموا جزاءه ولن يعدموا ثوابه.

ومن أمثلة ذلك عند أبي السعود في قوله تعالى: **{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}** [النحل: 112]، فالفعل ضرب يتعدى بمفعول واحد فنقول مثلاً: ضرب الولد الكرة، لكنه جاء في الآية متعددا لمفعولين فتضمن هنا معنى آخر وهو الفعل "جعل" الذي يأخذ مفعولين<sup>(36)</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك أيضا قال تعالى: **{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ}** [طه: 131]، فالفعل "متَّعنا" في الأصل لا ينصب مفعولين، بل يأخذ مفعولا واحدا، وجاء في الآية وأخذ مفعولين فكلمة "أزواجا" مفعولا به أولا، و"زهرة" مفعولا به ثان، وسبب ذلك تضمين الفعل "متَّعنا" معنى أعطينا<sup>(37)</sup>، وهذا الفعل يأخذ مفعولين. وكأنه يريد منه أن يعلّق نظره بمن أعطى لا بالعطاء ذاته والمتاع نفسه.

ومن أمثلة ذلك أيضا الفعل "نحت" في قوله تعالى: **{وَتَنحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا}** [الأعراف: 74]، هو فعل متعد لمفعول واحد وقد جاء في القرآن الكريم مثال ذلك في قول الله: **{وَتَنحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ}** [الشعراء: 149]، لكنه في آية سورة الشعراء نصب مفعولا واحداً "بيوتاً"، أما في آية سورة الأعراف فتضمّن الفعل "نحت" معنى الفعل "اتَّخذ"<sup>(38)</sup> الذي ينصب مفعولين، فنصب "الجبال" ونصب "بيوتاً" بمعنى: تتخذون الجبال بيوتاً.

ثالثاً: تضمين فعلٍ يتعدى بحرف جرٍ معنى فعلٍ آخر يتعدى بحرف جرٍ لا يتعدى به الفعل  
الأول

(35) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (2/ 74).

(36) انظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (5/ 144)

(37) انظر: المرجع السابق. (6/ 50).

(38) انظر: المرجع السابق. (3/ 243)

بعض الأفعال تتعدى بحروف جرٍ معيّنة ولا تتعدى غيرها، فنقولُ مثلاً: أحاطَ بالأمر، ولا نقول: أحاطَ على الأمر. ولكن في أسلوب التضمين يجوز أن يتعدى الفعل بحروف جرٍ لا يتعدى بها عادةً إن كان الفعل يتضمّن معنى فعلٍ آخر يتعدى بحروف الجر تلك.

ومن الأمثلة على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2]، فالفعل أكل يتعدى بحرف الجر "من"، لكنه في الآية عُدي بحرف الجر "إلى"؛ وذلك من باب تضمين الفعل "أكل" معنى الفعل "ضمّ" الذي يتعدى بحرف الجر "إلى"، فيصبح المعنى كما ذكر أبو السعود: "أي لا تأكلوها مضمومةً إلى أموالكم ولا تُسووا بينهما"<sup>(39)</sup>، فعندها تقعوا في الحرمة.

ومن ذلك أيضاً، في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: 38] فالفعل "ثقل" يتعدى "بعلى" وهنا تعدى بـ "إلى" ليفيد معنى آخر جديداً من باب التضمين؛ وهو الميل والإخلاق أي اثاقلتم وحالككم مائل إلى الدنيا وشهواتها وغرورها، ومتعلق بذااتها الفانية، وكرهتم مشاق الجهاد والسفر له ومتاعبه الذي يؤدي إلى الرحلة الخالدة الهنيئة<sup>(40)</sup>.

وفي ذلك زيادة على المعنى الذي تأتي به كلمة (اثاقلتم) وجمال تعبيرها وما تضيفه من حركة وكأنه مشهد تراه بعينك، فترى تباطؤهم وتقاعسهم عن النهضة والقيام بواجب الجهاد في سبيل الله.

ولهذا يقول سيد قطب: "إنها ثقله الأرض، ومطامع الأرض، وتصورات الأرض .. ثقله الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذائذ والمصالح والمتاع .. ثقله الدعة والراحة والاستقرار ... والتعبير يلقي كل هذه الظلال بجرس ألفاظه {اثاقلتم} وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل! ويلقيها بمعنى ألفاظه: «اثاقلتم إلى الأرض» .. وما لها من جاذبية تشد إلى أسفل وتقاوم رفرقة الأرواح وانطلاق الأشواق. إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقله اللحم والدم وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد والضرورة وتطلع إلى الخلود الممتد"<sup>(41)</sup>.

(39) المرجع السابق. (2/ 140).

(40) انظر: المرجع السابق. (4/ 65).

(41) قطب، سيد قطب إبراهيم: في ظلال القرآن، دار النشر: دار الشروق. القاهرة. (3/ 1655).

ومن الأمثلة على ذلك أيضا في قوله تعالى: **{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}** [الإنسان: 6]، الفعل يشرب يتعدى بحرف الجر "من" وليس "بالباء" نقول يشرب من العين، ولكن عدّي هنا بالباء؛ لأنه تضمّن فعل يلتذّ<sup>(42)</sup>، الذي يتعدى بحرف الجر الباء، فالنعمة التي هم عليها لا تتمثل بمجرد الشرب وحده بل يتعدى ذلك للتلذذ بما يشرب، فليس كل من شرب تلذذ، وهذا المعنى الجديد قد أفاده التضمين.

#### رابعاً: تضمين الفعل اللازم معنى الفعل المتعدي لمفعول واحد

أن يعامل الفعل اللازم معاملة فعل آخر متعدّد فينصب مفعولاً به مع أنه فعل لازم ينبغي أن يكتفي بفاعله، وهذا لتقارب بينهما في المعنى. ومثال ذلك في قوله تعالى: **{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا}** [القصص: 58]، الفعل "بطر" فعل لازم، نقول بطر الرجل، ويعني: "البطر: الطُّغْيَانُ عِنْدَ النَّعْمَةِ وَطُولُ الْغِنَى"<sup>(43)</sup>، ولكنه جاء في الآية متعدياً؛ ليدل على معنى جديد، وهو بتضمينه معنى كفرت كما ذكر أبو السعود<sup>(44)</sup>، وقد وافق بذلك الزمخشري الذي قال عند تفسيرها: "بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت، وقيل: البطر: سوء احتمال الغنى، وهو أن لا يحفظ حق الله فيه إلا قليلاً من السكنى"<sup>(45)</sup>. لكن أبا حيان قد اختار معنى آخر بتضمينه للفعل بطرت فقال: "تضمين بطرت معنى فعل متعد أي: خسرت معيشتها"<sup>(46)</sup>.

#### خامساً: تضمين الفعل المتعدي معنى الفعل اللازم

وهذه الحالة عكس ما قبلها، فالفعل المتعدّي في هذا النوع يأخذ حكمَ الفعل اللازم، فيكتفي بالفاعل ولا ينصب مفعولاً به، بل يتعدى بحرف جرٍ أحياناً لتقارب في المعنى بينهما، ومن الأمثلة على ذلك في قوله تعالى: **{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [النور: 63]، الفعل "يخالف" هو فعل متعدّد، فنقول خالف أمره أو خالف المرء هواه، هنا الفعل تعدى بنفسه وهو الأصل، لكنه في الآية الكريمة تعدّى بحرف الجر "عن"؛ "لتضمّنه معنى الإعراض أو حملة على معنى يصدون عن أمره دون المؤمنين، من خالفه عن الأمر إذا صدّ عنه دونه وحذف المفعول لما أنّ المقصود بيانُ المُخَالِفِ والمُخَالَفِ عنه والصّميْرُ لله تعالى لأنّه الأمرُ

(42) انظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (71/9).

(43) ابن منظور: لسان العرب. (69/4).

(44) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (7/20).

(45) الزمخشري: الكشاف. (423/3).

(46) أبو حيان: البحر المحيط. (316/8).

حقيقةً أو للرَّسول صلى الله عليه وسلم لأتَّه المقصودُ بالذِّكر<sup>(47)</sup>، فسوء صنيعهم ليس بمخالفة أمر الله أو رسوله ﷺ فحسب، وإنما في الإعراض عن أمره، وصد الناس ومنعهم عن دين الله. وهذا المعنى من جمال ما يضيفه التضمين في الأفعال.

ومثال ذلك أيضا في قوله تعالى: **{قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَيِّدُوا عَلَيْكُمْ إِحْوَاتِكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَيْدُهُمْ أَكْبَرُ مِنْ كَيْدِكُمْ}** [يوسف: 5]، ففعل "يكيد" هو فعل متعد لمفعول، ودليل ذلك في آية أخرى قوله تعالى: **{فَكِيدُونِي جَمِيعًا}** [هود: 55]، فالأصل فيها: فيكيدوك، لكنه ضمنه معنى فعل لازم وهو "يحتالوا لك"؛ ليفيد معنى الفعل المضمن؛ ليكون أبلغ في التخويف، قال أبو السعود: "وهذا الأسلوب أكذ من أن يقال فيكيدوك كيدا إذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الإيقاع وقد قيل إنما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدّي باللام ليفيد معنى المضمّن والمضمّن فيه للتأكيد أي فيحتالوا لك ولإهلاكك حيلة وكيدا والمراد بإخوته ههنا"<sup>(48)</sup>.

ومثال آخر في قوله تعالى: **{وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}** [الكهف: 28]، فعل "تعدو" من "عدا" وهو فعل متعدّ بنفسه دون حرف الجرّ، فنقول: عداه، أي جاوزه، وكما قال النجاشي: "ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود"<sup>(49)</sup>، لكنه في الآية تعدى بحرف الجرّ "عن" ليفيد معنى النبوّ كما ذكر أبو السعود<sup>(50)</sup>، والنبوّ هو العلو والارتقاع<sup>(51)</sup>، فالنهي لرسول الله ﷺ ليس فقط عن مجرد مجاوزتهم بالعين، بل هو أعمق من ذلك فهو يحمل ويتضمن معنى العلو والرفعة، أي أن تستعلي عليهم بنظراتك لضعف حالهم وشدة فقرهم، فالنهي هنا عن ازدياد فقرهم المسلمون لرياسة زبّهم وحالهم وذلك طموحا إلى زيّ الأغنياء والتوجه لهم بالنظرات والجلسات، ولهذا جاءت الآيات بعدها **{تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}** [الكهف: 28]<sup>(52)</sup>.

سادسا: تضمين الفعل المتعدي بحرف الجر معنى فعل يتعدى بنفسه

(47) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (6/ 198).

(48) المرجع السابق. (4/ 253).

(49) أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: مسند الإمام أحمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (ط1) 1421هـ.

(3/ 263)، رقم الحديث: 1740.

(50) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (5/ 219).

(51) ابن منظور: لسان العرب. (15/ 302).

(52) انظر: الزمخشري: الكشاف. (2/ 718). وانظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (15/ 305).

ومن الأمثلة على ذلك في قوله تعالى: **{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ}** [يوسف: 25] فالأصل في فعل "استبق" أن يتعدى بحرف الجر "إلى" فيكون المعنى تسابقا إلى الباب، لكنه جاء الفعل "استبقا" متعديا بنفسه دون حرف الجر، من باب تضمين الفعل معنى فعل "ابتدرا" ومعنى "ابْتَدَرَ الْقَوْمُ أَمْرًا وَتَبَادَرُوهُ أَي بَادَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَيْهِ أَيَّهُمْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ" (53). فكل واحد منهما يحاول الإسراع إلى الباب ليكون السابق إليه فهي عندما رآته يسرع إلى الباب ليتخلص منها أسرع هي أيضا لتمنعه عن الوصول للباب والهروب منه، وهو مما يدل على المبالغة في الإسراع (54). فالتضمين هنا أضفى معنى جميلا فأيهما يظفر بالوصول أولا للباب، مع اختلاف نيتهما، فهو يُسرع للتخلص من كيدها، والهروب من الفاحشة، وهي تُسرع لمنعه وصدّه من الهروب؛ لمرادوته للفاحشة.

#### سابعا: تضمين الفعل الذي يتعدى بنفسه معنى فعل آخر يتعدى بحرف الجر

وهي عكس التي قبلها، فأصل الفعل يتعدى بنفسه لكنه جاء في الآية وتعدى بحرف الجر ليفيد معنى آخر من باب التضمين وبالمثال يتضح المقال، ومن الأمثلة على ذلك في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفُنُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ}** [يوسف: 43]، فالأصل هو تعبرون الرؤيا، فيكون متعديا بنفسه، لكنه جاء في الآية متعديا بحرف الجر "اللام"؛ وذلك ليفيد معنى آخر جميل؛ وهو كما ذكر أبو السعود: "لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كأنه قيل إن كنتم تنتدبون لعبارتها" (55).

#### المطلب الثاني: التضمين في الأسماء والمصادر

ويظهر ذلك على سبيل المثال في قول الله عز وجل: **{أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}** [البقرة: 187]، الرفث: هي اسم ومصدر للفعل رفث وهو يعني: "الجماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته" (56)، وهو لا يتعدى بحرف الجر "إلى"، وإنما يتعدى بحرف الجر "مع" فيقال الرفث مع النساء، وكذلك مع حرف الجر "الباء" فيقال الرفث بالنساء، ولكن عدّي بحرف الجر "إلى"؛ لتضمينه معنى الإفضاء، والذي يُعد من الكنايات (57)، وهي تتعدى

(53) ابن منظور: لسان العرب (4/ 48).

(54) انظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (4/ 267). وانظر: الزمخشري: الكشاف. (2/ 458).

(55) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (4/ 281).

(56) ابن منظور: لسان العرب. (2/ 153).

(57) انظر: أبو السعود. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (1/ 201).

بحرف الجر "إلى" ويقولون: أفضى الرجل إلى امرأته: بأشرها<sup>(58)</sup>، ولهذا "أضاف: النساء لأجل الاختصاص فلا يحل الإفضاء إلا لمن اختصت بالمفضي"<sup>(59)</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك في قوله تعالى: **{قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ}** [ص: 24]، وهنا السؤال كمصدر أو الفعل منه "سأل" لا يتعدى بحرف الجر "إلى"، يُقال سأل النعجة، ولا يُقال سأل النعجة إلى، فجاء حرف الجر "إلى" من باب تضمين المصدر معنى الضم، أي ظلمك بضمّ نعجتك إلى نعاجه، والضمّ يتعدى بحرف الجرّ "إلى"، يقول أبو السعود: "والسؤال مصدرٌ مضافٌ إلى مفعوله وتعديته إلى مفعولٍ آخرٍ بإلى لتضمّنه معنى الإضافة والضمّ"<sup>(60)</sup>، فيصبح المعنى وكأنه قيل بإضافة أوصمّ نعجتك إلى نعاجه وذلك من باب السؤال والطلب.

ومن الأمثلة الواضحة على تضمين المصادر والأسماء في قوله تعالى: **{حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}** [الأعراف: 105]، فجاءت كلمة حقيق وهي مصدر لتضمن معنى كلمة (حريص) فالمعنى أنه واجب عليّ قول الحق والدعوة إليه، وهذا مقام مختص بي لا بغيري وما أدعوا إليه من حق لا يرضى إلا بي ناطقاً به، ومما يفيد التضمين في هذا المصدر هو معنى "حريص" على قول الحق، وثمة فرق كبير بين مجرد قول الحق، والحرص على قوله وكأنه يتحرى القول به ويبحث عنه<sup>(61)</sup>.

#### المطلب الثالث: تضمين الأفعال معنى القسم

عندما تكون في الآية علامة أكيدة على وجود القسم مثل لام القسم، فيكون في ذلك دليل على وجود القسم، فإذا لم نجد لفظ القسم بشكل صريح نستنتج عند ذلك أن هناك لفظاً وفعالاً آخر ضمّن معنى القسم أو الحلف. ومن أمثلة ذلك في القرآن "أخذ الميثاق" كما في قوله تعالى: **{حَتَّىٰ تُوْثِقُونَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَنَا تُنَنِّي بِهِ}** [يوسف: 66]، فاللام في "لَنَا تُنَنِّي" هي لام القسم لاتصالها بالفعل المضارع ومتصل به نون التوكيد، ولا يوجد فعل قسم صريح قبل لام القسم، ولكن يوجد فعل آخر وهو "توثقون موثقاً" وهو ضمن معنى فعل القسم فعمل عمل هذا الفعل فاحتاج جملة جواب القسم، فالتضمين هنا في هذه الآية على المجاز؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بموثق من الله، فهو أمر

(58) ابن فارس: مقاييس اللغة. (4/ 508).

(59) أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط في التفسير. ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر\_بيروت. (ط) 1420هـ. (212/2).

(60) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (7/ 221).

(61) انظر: المرجع السابق. (3/ 257).

محال، ولكن هذا من باب المجاز الذي قُصد به الحلف بالله، يقول أبو السعود: "أي ما أتوثق به من جهة الله عز وجل وإنما جعله مَوْثِقاً منه تعالى لأن تأكيد العهود به مأذونٌ فيه من جهته تعالى، فهو إذن منه عز وجل، **{لَتَأْتُنِي بِهِ}** جوابُ القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتني به"<sup>(62)</sup>.

ويقول ابن عاشور: "وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهَ شَاهِدًا عَلَيْهِمْ فِيمَا وَعَدُوا بِهِ بِأَنْ يَحْلِفُوا بِاللَّهِ فَتَصِيرُ شَهَادَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ كَتَوَثُّقٍ صَادِرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ. وَذَلِكَ أَنْ يَقُولُوا: لَكَ مِيثَاقُ اللَّهِ أَوْ عَهْدُ اللَّهِ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ، وَبِهَذَا يُضَافُ الْمِيثَاقُ وَالْعَهْدُ إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ كَأَنَّ الْخَالَفَ اسْتَوَدَعَ اللَّهَ مَا بِهِ التَّوَثُّقُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ"<sup>(63)</sup>. فالتضمين مجازي بمعنى الحلف.

وكذلك من الأمثلة على تضمين الفعل معنى القسم كما في قوله تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ}** [آل عمران: 81]، ففعل "أخذ" ضمّن معنى القسم، يقول أبو السعود: واللام في لَمَّا موطئةٌ للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتلُ الشرطية ولتؤمننَّ سادٌّ مسدٌّ جوابِ القسم والشرط"<sup>(64)</sup>. ولا يخفى علينا التقارب في المعنى بين فعل القسم "أقسم" وأخذ الميثاق.

#### المطلب الرابع: التضمين في الحروف

وكما ذكرنا سابقاً أن التضمين قد يأتي في الأفعال وفي الأسماء والمصادر، وقد يأتي بالحروف أيضاً، ومن أمثلة ذلك عند أبي السعود في قوله تعالى: **{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا}** [البقرة: 26]، يقول: "وفي تصدير الجملتين بأما من إخماد أمر المؤمنين وذم الكفرة مالا يخفى وهو حرف متضمنٌ لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شئ ولذلك يُجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صُدِرَ به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الأقسام، فقد تُذكر جميعاً وقد يُقتصر على واحد منها كما في قوله عز وجل من قائل **{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ}** الخ"<sup>(65)</sup>.

يقول ابن عاشور: "وَ(أَمَّا) حَرْفٌ مَوْضُوعٌ لِتَفْصِيلِ مُجْمَلٍ مَلْفُوظٍ أَوْ مُقَدَّرٍ. وَلَمَّا كَانَ الْإِجْمَالُ يَتَّقِضِي اسْتِشْرَافَ السَّامِعِ لِتَفْصِيلِهِ كَانَ التَّصَدِّي لِتَفْصِيلِهِ بِمَنْزِلَةِ سُؤَالٍ مَقْرُوضٍ كَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَقُولُ إِنَّ شَيْئاً تَفْصِيلُهُ فَتَفْصِيلُهُ كَيْثٌ وَكَيْتٌ، فَلِذَلِكَ كَانَتْ أَمَّا مُتَضَمِّنَةً مَعْنَى الشَّرْطِ وَلِذَلِكَ لَزِمَتْهَا الْفَاءُ

(62) انظر: المرجع السابق. (4/ 291).

(63) ابن عاشور: التحرير والتنوير. (13/ 19).

(64) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (2/ 53).

(65) المرجع السابق. (1/ 73).

فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهَا لِأَنَّهَا كَجَوَابِ شَرْطٍ، وَقَدْ تَخَلُّو عَنْ مَعْنَى التَّفْصِيلِ فِي حُصُوصِ قَوْلِ الْعَرَبِ  
أَمَّا بَعْدُ فَتَتَمَحَّضُ لِلشَّرْطِ وَذَلِكَ فِي التَّحْقِيقِ لِحَقَاءِ مَعْنَى التَّفْصِيلِ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى تَرَقُّبِ السَّامِعِ  
كَلَامًا بَعْدَ كَلَامِهِ الْأَوَّلِ" (66).

### المبحث الثالث

#### ملاح منهج أبي السعود في التضمين

بعد استقراء مواضع التضمين في تفسير أبي السعود، تبين أن أهم ملاح  
منهجه، تظهر في الأمور الآتية:

#### أولاً: ذكر التضمين بشكل صريح

فعند تفسيره لآيات حَوَّت التضمين نجده يصرِّح بالتضمين، ذاكرا المعنى المضمَّن من  
الفعل، والأمثلة التي ذكرناها سابقا على أنواع التضمين عنده تصلح مثالا على تصريحه بالتضمين،  
ومن أمثلة ذلك أيضا مما لم يذكر سابقا، في قوله تعالى: {وَلِنُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ} [البقرة: 185] قال أبو السعود في تفسيرها: "وتعدية فعل التكبير بعلی لتضمُّنه معنى  
الحمد كأنه وتكبروا الله حامدين على ما هداكم" (67). ومن أمثلة تصريحه بالتضمين كذلك في قوله  
تعالى: {فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ} [القصص: 66]، فالأصل أن يقول: عميت  
عنهم الأنباء، فالفعل يتعدى بحرف الجر عن وهنا تعدى بحرف الجر "على" وسبب ذلك كما ذكر  
أبو السعود: "وتعدية الفعل بعلی لتضمُّنه معنى الخفاء والاشتباه" (68)، فالتضمين هنا أفاد معنى  
جديدا وهو الخفاء والاشتباه الذي سبب العمى لديهم.

#### ثانياً: ذكر التضمين تلميحاً لا تصريحاً

فتجده في تفسيره لبعض الآيات التي احتوت على التضمين، يذكر الفعل المضمَّن ومعناه  
دون التصريح بأسلوب التضمين؛ ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ  
إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء: 107]، يقول أبو السعود: "أي يسقطون على  
وجوههم {سُجَّدًا} تعظيماً لأمر الله تعالى، أو شكراً لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك،

(66) ابن عاشور، التحرير والتنوير. (1/ 363).

(67) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (1/ 200).

(68) المرجع السابق. (7/ 22).

وتخصيصُ الأذقانِ بالذكر؛ للدلالة على كمال التذللِ، إذ حينئذ يتحقق الخُور عليها، وإيثارُ اللام للدلالة على اختصاص الخُور بها كما في قوله [فخرٌ صريعاً لليدين وللهم] وهو تعليلٌ لما يُفهم من قوله تعالى: {آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا} من عدم المبالاة بذلك؛ أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن إيمانٍ مَنْ هو خيرٌ منكم ويجوز أن يكون تعليلاً لُقُل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل تسلَّ بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة ولا تكثرث بإيمانهم وإعراضهم<sup>(69)</sup>، فالفعل خرّ يتعدى بحرف الجر "على" فنقول خرّ على ذقنه، لكنه جاء باللام هنا للاختصاص وكأن الذقن هو المكان المختص بالخور، وهذا المعنى هو عين التضمين لكنه لم يصرح به وذكر المعنى الدال عليه.

ومن أمثلة تلميحه بالتضمين بذكر معناه دون التصريح بأسلوب التضمين عند تفسيره لقوله تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: 76]، فالفعل "خلا" يتعدى بالباء، فنقول خلا القوم بعضهم ببعض، لكنه عدّي في الآية بحرف الجر "إلى" وذلك من باب التضمين؛ ليفيد معنى "انضموا إليهم"، فذكر أبو السعود المعنى المضمّن دون أن يصرح بالتضمين، فقال: "وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ} أي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم أي إذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين، {إلى بَعْضٍ} آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم..."<sup>(70)</sup>.

### ثالثاً: عدم ذكره التضمين والإعراض عنه بالرغم من وجوده عند غيره

أحياناً يعرض أبو السعود في تفسيره معنى الفعل المضمّن الذي ذكره بعض المفسرين، دون أن يذكر التضمين نهائياً، فمثلاً في قوله تعالى: {وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} [الجن: 17] الفعل "سلك" يتعدى في العادة بحرف الجر "في" وذلك مثل قوله تعالى: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ} [المدثر: 42]، لكنه في الآية السابقة تعدّى بنفسه دون حرف الجر، وذكر الزمخشري سبب تعديته بنفسه؛ لتضمنه معنى ندخله<sup>(71)</sup>. في حين أبي سعود ذكر معنى "يسلكه" أي يدخله دون ذكر للتضمين<sup>(72)</sup>.

(69) المرجع السابق. (5/ 199).

(70) المرجع السابق. (1/ 117).

(71) انظر: الزمخشري: الكشاف. (4/ 629).

(72) انظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (9/ 45).

وأحيانا تجد أبا السعود لا يذكر التضمين، بل يقول بتناوب الحروف، ومن الأمثلة على ذلك في تفسيره لقوله تعالى: **{وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ}** [البقرة: 102]، فبين أن معنى "على ملك سليمان" أي "في" ملك سليمان، وهو القول بتناوب الحروف<sup>(73)</sup>، في حين قال ابن كثير في تفسيره: "وَاتَّبَعَتِ الْيَهُودُ -الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ بَعْدَ إِعْرَاضِهِمْ عَن كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي بِيَدِيهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمُ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ، أَي: مَا تَرَوِيهِ وَتُخْبِرُ بِهِ وَتُحَدِّثُهُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ. وَعَدَاهُ بَعْلَى؛ لِأَنَّهُ تَضَمَّنَ تَتْلُو: تَكْذِبُ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: "عَلَىٰ" هَاهُنَا بِمَعْنَى "فِي"، أَي: تَتْلُو فِي مُلْكِ سُلَيْمَانَ. وَنَقَلَهُ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَابْنِ إِسْحَاقَ. قُلْتُ: وَالتَّضَمُّنُ أَحْسَنُ وَأَوْلَىٰ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"<sup>(74)</sup>. فهو يرد القول بتناوب الحروف ويرجح القول بالتضمين.

وكذلك من الأمثلة على القول بتناوب الحروف كما في قوله تعالى: **{سَأَلِ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}** [المعارج: 1]، فبين أبو السعود أن حرف الجر (الباء) هو بمعنى (عن) أي سأل عن عذاب واقع، كما ورد في قوله تعالى: **{فَأَسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا}** [الفرقان: 59]<sup>(75)</sup>، أي فأسأل عنه، في حين ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "فِيهِ تَضَمِينٌ دَلَّ عَلَيْهِ حَرْفُ "الْبَاءِ"، كَأَنَّهُ مُقَدَّرٌ: يَسْتَعْجِلُ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ"<sup>(76)</sup>. وكذلك الزمخشري ذكر في تفسيره لهذه الآية: "ضمن سأل معنى دعا، فعدى تعديته، كأنه قيل: دعا داع بعذابٍ واقعٍ من قولك: دعا بكذا. إذا استدعى وطلبه"<sup>(77)</sup> حيث صرح بالتضمين محددًا الفعل المضمن.

#### رابعاً: تحقيق الغرض الظاهر من التضمين وهو التوسع في المعنى والتأكيد عليه

فمن أغراض التضمين أنه يقوي المعنى ويؤكد عليه، وذلك من خلال إعطاء الفعل معنى فعلين؛ والغرض من التضمين كما قال الزمخشري: "إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى الفذ"<sup>(78)</sup> ويؤكد هذا المعنى كما ذكرنا سابقاً في تفسيره لقوله تعالى: **{قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}** [يوسف: 5] فقال: (فيكيدوا) ولم يقل فيكيدوك وذكر أبو السعود سبب ذلك فقال: "وهذا الأسلوب أكد من أن يقال فيكيدوك كيداً؛

(73) انظر: المرجع السابق. (136/1).

(74) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت:774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، (2ط) 1420هـ - 1999 م. (350/1).

(75) انظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (30/9).

(76) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (220/8).

(77) انظر: الزمخشري، الكشاف. (608/4).

(78) المرجع السابق. (717/2).

إذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الإيقاع، وقد قيل إنما جيء باللام؛ لتضمينه معنى الاحتياال المتعدّي باللام ليفيد معنى المضمّن والمضمّن فيه، للتأكيد أي فيحتملوا لك ولإهلاكك حيلةً وكيداً<sup>(79)</sup>، فالفعل من إخوته ليس مجرد كيد، بل تعدى ذلك للاحتياال عليه للوقوع به وتحقيق إهلاكه، وهذا مما يتوجب زيادة في التخويف وأخذ الحيطة والحذر من غدرهم، فالتضمين عنده لا يأتي إلا لفائدة، أو غاية بلاغية لتحقيق غرض مهم.

#### خامساً: عدم ذكر الفعل المضمّن وعدم تحديده والاكتفاء بالإبهام

ومثال ذلك في تفسيره عند قوله تعالى: {قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ} [النمل: 72]، ذكر أبو السعود معنى "رَدِفَ لكم": "أي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} أو الفعل مضمّن معنى فعلٍ يُعدّى باللام<sup>(80)</sup>، ولم يذكر هذا الفعل.

#### سادساً: استخدام شواهد على التضمين من الشعر وكلام العرب

أحياناً تجد أبا السعود يعتمد على الشعر في إظهار معنى الفعل المضمّن، فعند تفسيره لقوله تعالى: {وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} [البقرة: 17]، قال: "وترك في الأصل بمعنى طرَحَ وخرَى وله مفعول واحد، فمضمّن معنى التصيير، فجرى مجرى أفعال القلوب قال فتركته جَزَرَ السِّبَاعِ يَنْشُنُهُ ... يَقْضَمُنَ حُسْنَ بِنَانِهِ وَالْمِعْصَمِ<sup>(81)</sup> <sup>(82)</sup>، ولهذا أخذ مفعولين بدلا من مفعول واحد؛ لأنه جاء بمعنى التصيير، واستدل على ذلك بقول الشاعر.

فتجد أبا السعود في تفسيره دائم الاستشهاد والاعتماد على الشعر واللغة؛ ليستدل بذلك على المعنى الذي يرنو إليه.

#### سابعاً: ذكر عدّة احتمالات للمعنى المضمّن والتأكيد على أحدها

(79) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (4/ 253).

(80) المرجع السابق. (6/ 298).

(81) انظر: الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين (ت: 486هـ): شرح المعلقات السبع، (معلقة عنترة بن شداد رقم 50)

الناشر: دار احياء التراث العربي، (ط1) 1423هـ - 2002 م. (ص 259).

(82) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (1/ 51).

كما ذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ} [الأعراف: 105]، ذكر احتمال أن يكون الفعل المضمّن "حريص" واحتمال المعنى "واجب عليّ" القول الحق فأنا قائله ولا يرضى إلا بي ناطقا به<sup>(83)</sup>.

ثامناً: الاعتماد على القراءات التي تؤيد معنى الفعل المضمّن

فعند تفسيره لقوله تعالى: {أَفَلَمْ يَبْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا} [الرعد: 31]، قال أبو السعود: "أي أفلم يعلموا على لغة هوازن أو قوم من النّخع، أو على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمّنه له ويؤيده قراءة عليّ وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم"<sup>(84)</sup>، وهذه القراءة شاذة وهي تُعد قراءة تفسيرية لمعنى "يأس" التي تتضمن معنى يعلم<sup>(85)</sup>.

## الخاتمة

- 1\_ من الفوائد البلاغية للتضمين: التوسع في المعنى، والإيجاز والاختصار، وكشف لطائف لغوية، وإزالة اللبس في فهم بعض الآيات، وقد أظهر أبو السعود في تفسيره بعض هذه الجوانب.
- 2\_ اختلف العلماء في قضية تناوب الحروف، فالذين منعوا تناوبها لجؤوا للتضمين؛ لبيان المعنى لأنهم اعتبروا أن الحرف يقتصر على معنى واحد يختص به.
- 3\_ تعددت صور التضمين عند أبي السعود فكانت في الأفعال والأسماء والمصادر والحروف.
- 4\_ من أسلوب أبي السعود ومنهجه في التضمين التصريح به تارة، والتلميح دون التصريح تارة أخرى، وعدم التطرق له والإعراض عنه تارة أخرى.
- 5\_ اعتمد أبو السعود عند حديثه عن التضمين على شواهد من القرآن والشعر واللغة ليعضد تفسيره.
- 6\_ اعتمد أبو السعود على بعض القراءات الشاذة للتأكيد على معنى الفعل المضمّن.

---

(83) انظر: المرجع السابق. (257/3).

(84) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (5/ 22).

(85) انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ): المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: 1420هـ-1999م. (375/1).

7\_ يذكر أبو السعود عدة احتمالات لمعنى الفعل التي منها التضمين فيذكره ويذكر الفعل المضمن وأحياناً لا يذكره ويبقيه مبهماً.

8\_ بشكل عام يُعد أبو السعود ممن يكثر القول في التضمين رغم وجود بعض الأمثلة في تفسيره على القول بتناوب الحروف.

### أما التوصيات فهي:

1- عمل دراسة مقارنة بين أبي السعود والزمخشري في موضوع التضمين في تفسيريهما، حيث لاحظ الباحثان وجود الكثير من التقاطعات بينهما.

2- إفراد الموضوعات البلاغية الأخرى في تفسير أبي السعود بالدراسة، لما لهذا التفسير من عناية واضحة بالجانب البلاغي في القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين

### قائمة المراجع:

1. أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: مسند الإمام أحمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (ط1) 1421هـ.
2. الأشموني، علي بن محمد بن عيسى (ت:900هـ): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، (ط1) 1419هـ- 1998م.
3. ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد أبو البركات (ت:577هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف. المكتبة العصرية. (ط1) 1424م.
4. الباقلاني، محمد بن الطيب: إعجاز القرآن. تحقيق: أحمد صقر. دار المعارف- مصر. (ط5) 1997م.
5. البغدادي، إسماعيل بن محمد الباباني (ات: 1399هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجلييلة في مطبعتها البهية إستانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
6. ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت:392هـ): الخصائص. الهيئة المصرية العامة. (ط4).

7. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ): المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: 1420هـ - 1999م.
8. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عطار. دار العلم للملايين - بيروت. (ط4). 1407هـ.
9. حسن، عباس: النحو الوافي. دار المعارف. (ط15).
10. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط في التفسير. ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت. (ط) 1420هـ.
11. الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن بن عمرو الفراهيدي (ت: 170هـ): كتاب العين، مادة (فتر)، المحقق: د مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
12. خليل، أنسام: رؤية جديدة لظاهرة التضمن في القرآن.
13. الذهبي، محمد السيد حسين (ت: 1398هـ): التفسير والمفسرون، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
14. الرماني: علي بن عيسى أبو الحسن المعتزلي (ت: 384هـ): النكت في إعجاز القرآن. المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، (ط3) 1976م.
15. الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي (ت: 337هـ): حروف المعاني والصفات. ت: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت (ط1) 1984م.
16. الزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن. (ط1) 1957م.
17. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط1) 1419 هـ - 1998 م.
18. الزمخشري، محمود بن عمرو جار الله: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الكتاب العربي - بيروت. (ط3) 1407هـ.
19. الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين (ت: 486هـ): شرح المعلقات السبع، (معلقة عنتره بن شداد رقم 50) الناشر: دار احياء التراث العربي، (ط1) 1423 هـ - 2002 م.
20. أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. دار إحياء التراث العربي.
21. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت: 180هـ): الكتاب. المحقق: عبد السلام محمد هارون ناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط3) 1408 هـ - 1988 م.

22. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليميني(ت:1250هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
23. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي(ت:1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: دار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ.
24. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله(ت:395هـ): الفروق اللغوية. ت:محمدسليم، دار العلم والثقافة-القاهرة.
25. ابن العماد العكري، عبد الحي بن أحمد الحنبلي(ت:1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، (ط1) 1406 هـ - 1986 م،
26. ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني: مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر. 1979م.
27. فاضل، محمد نديم: التضمن النحوي في القرآن الكريم.
28. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت:276هـ): تأويل مشكل القرآن، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
29. قطب، سيد قطب إبراهيم: في ظلال القرآن، دار النشر: دار الشروق . القاهرة.
30. ابن القيم: بدائع الفوائد.
31. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير(ت:774هـ): تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط2) 1420 هـ - 1999 م.
32. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
33. اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبد الحي الهندي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عنى بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، الناشر: طبع بمطبعة دار السعادة، (ط1) 1324 هـ.
34. مليطان، محمد الحسين: (التضمن في القرآن بين التفسير والتأويل)
35. ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي (ت: 711هـ): لسان العرب. (ط3) 1414هـ.
36. ابن هشام، عبد الله بن يوسف(ت:761هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق: مازن المبارك. دار الفكر - دمشق. (ط6) 1985م.